قوم إلياس عَلَيْهِ السَّلَام

نسبهم

قال ابن إسحاق في المبتدأ: هو ابن ياسين بن فنحاص بن العيزار ابن هارون أخي موسى بن عمران. وقال ابن عسكر: حكى القتبي: أنه من سبط يوشع. وقال وهب: إنه عُمِّر كما عُمِّر الخضر. وعن ابن مسعود: أن إلياس هو إدريس.

وإلياس بهزة قطع: اسم عبراني، وقد زيد في آخره ياء ونون، في قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾ [الصافات: ١٣٠]، كما قالوا في إدريس: (إدراسين)[١].

موقعهم الجغرافي

ذكر ابن كثير: أن إرساله كان إلى أهل بعلبك غربي دمشق[٢].

صفاتهم

التجبر، الكبر، القتل.

حياتهم

أرسله الله إلى أهل بعلبك ، فدعاهم إلى الله ﷻ، وأن يتركوا عبادة صنم لهم، كانوا يسمونه بعلًا، ولهذا قال: ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ

(١). انظر: الإتقان في علوم القرآن: عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت: محمد أبوالفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م (٧٦/٤)، معترك الأقران في إعجاز القرآن: جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م (٥/٢).

(٢). انظر: البداية والنهاية: ابن كثير، مرجع سابق (٣٩٣/١).

﴿عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣١ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصافات:١٢٤-١٣٢]، فكذبوه وخالفوه وأرادوا قتله، فيقال: إنه هرب منهم، واختفى عنهم. وتوعدهم الله بالعذاب في الدنيا والآخرة إلا من آمن منهم ، وأبقينا له ذكرًا حسنًا له في العالمين، فلا يذكر إلا بخير. و ما ذكره وهب بن منبه وغيره: أنه لما دعا ربه ﷻ أن يقبضه إليه لما كذبوه وآذوه، جاءته دابة لونها لون النار فركبها، فجعل الله له ريشًا وألبسه النور، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، وصار ملكيًّا بشريًّا سماويًّا أرضيًّا[1].

ثم أوحى الله تعالى إلى إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ إنك قد أهلكت كثيرًا من الخلق، ممن لم يعص سوى بنى إسرائيل من البهائم والدوابّ والطير والهوامّ والشجر بحبس المطر عن بنى إسرائيل. فيزعمون والله أعلم أنّ إلياس قال: يا ربّ دعنى أكن الذى أدعو لهم، وآتيهم بالفرج ممّا هم فيه من البلاء الذى أصابهم، لعلّهم أن يرجعوا، وينزعوا عمّا هم عليه من عبادة غيرك. قيل له: نعم. فجاء إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى بنى إسرائيل، فقال لهم: إنكم قد هلكتم جوعًا وجهدًا، وهلكت البهائم والدّوابّ والطير والهوامّ والشجر بخطاياكم، وإنكم على باطل وغرور.

فإن كنتم تحبّون أن تعلموا ذلك فاخرجوا بأصنامكم هذه، فإن استجابت لكم فذلك كما تقولون، وإن هى لم تفعل علمتم أنكم على

(١). انظر: عود على بدأ في جبلة اليهود: اللواء الركن (م) السيد يوسف بن عبدالله جمل الليل، تقريظ سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، مكتبة التوبة، الرياض، (١/٢٤٠).

باطل، فنزعتم، ودعوت الله ﷻ، ففرّج عنكم ما أنتم فيه من البلاء. قالوا: أنصفت. فخرجوا بأوثانهم فدعوها فلم تستجب لهم، ولم تفرّج عنهم ما كانوا فيه من البلاء. ثم قالوا لإلياس: يا إلياس، إن الله قد أهلكنا، فادع الله لنا. فدعا الله تعالى لهم ومعه اليسع بالفرج ممّا هم فيه وأن يسقوا، فخرجت سحابة مثل التّرس على ظهر البحر، وهم ينظرون، فأقبلت نحوهم، وطبّقت الآفاق، ثم أرسل الله تعالى عليهم المطر فأغاثهم، وحييت بلادهم.

فلمّا كشف الله تعالى عنهم الضّرّ نقضوا العهد، ولم ينزعوا عن كفرهم، ولم يقلعوا عن ضلالتهم، وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه. فلمّا رأى إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ ذلك دعا الله تعالى أن يريحه منهم؛ فقيل له – كما يزعمون–: انظر يوم كذا وكذا، فاخرج فيه إلى موضع كذا، فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه. فخرج إلياس ومعه اليسع بن أخطوب، حتى إذا كانا بالموضع الذى أمر إلياس به، أقبل فرس من نار حتى وقف بين يديه، فوثب عليه إلياس، فانطلق الفرس به، فناداه اليسع، يا إلياس: ما تأمرنى؟ فقذف إليه إلياس بكسائى من الجوّ الأعلى، وكان ذلك علامة استخلافه إيّاه على بنى إسرائيل، فكان ذلك آخر العهد به. ورفع الله ﷻ إلياس من بين أظهرهم، وقطع عنه لذّة المطعم والمشرب، وكساه الرّيش، فكان إنسيًّا ملكيًّا أرضيًّا سماويًّا، وسلّط الله على آجاب الملك وقومه عدوًّا لهم، فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى رهقهم،

فقتل آجاب وامرأته أرايل فى بستان مزدكى، فلم تزل جيفتاهما ملقاتين فى تلك الجنينة، حتى بليت لحومهما، ورمّت عظامهما[1].

العبر والعظات المستفادة

قصة النبي إلياس وقومه مثل قصص القرآن الكريم، لم تذكر بقصد الإخبار والقصِّ التاريخي، وإنما بقصد الاعتبار والاتعاظ، والتحذير مما وقع على الأمم والأقـوام السابقين، الذين خالفوا شرع الله، وأعرضوا عن الهدى الذي جاءتهم به الرسل والأنبياء. وعلى الجملة، يستفاد من قصة إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ العبر الآتية:

١. الدعوة إلىٰ التمسك بعبادة الله الواحد الأحد، ونبذ ما سواه من المعبودين، سواء أكانوا حجرًا أم بشرًا.

٢. إنذار المشركين: أن العذاب آتيهم لا محال، إن لم يأتهم عاجلًا، فهو بالتأكيد آتيهم أجلًا.

٣. سنة الله في مواعدة المعرضين عن ذكره.

(١). انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب: أحمد بن عبدالوهاب بن محمد البكري، شهاب الدين النويري، مرجع سابق (١٤/٢٦-٢٨). قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في البداية والنهاية (١/٣٣٨): ففي هذا نظر، وهو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب، بل الظاهر أن صحتها بعيدة، والله أعلم.